هكذا تكلم المتنبي

أحمد عنتر مصطفى

●

.. في البدءِ أَطْلَقتُ الرصاصَ على الأَراجِيح التي تَهْتَزُّ في رَأْسِي؛

وَدَثَّرتُ الطفولةَ.. ؛

قُلْتُ للريحِ:

«امتطي رُوحِي.. ؛

هِيَ النارُ التي لا تَنْطَفِي أَبَداً.. ؛

وَمَوْعِدُنَا الرَّمَادْ..»

هَذِي البِلادُ بَعِيدَةٌ... هَذِي البِلَادْ!!

يَا أَنْتَ..

يا هَذَا المَدَى..

إِنِّي أُبَعْثِرُ فِيكَ أَشْلَائِي..؛

وَأَنْثُرُ في خَلايَاكَ الخَبِيئةِ مَا تَبَقَّى مِنْ ذِماءِ الرُّوحِ..؛

هَلْ ثَمَّ التي تَتَلَقَّفُ الإِعْصَارَ..؛

تَبْكِي فَوْقَ أَشْلَاءٍ مُهَرَّأَةٍ..؛

تَدُبُّ الرُوحُ ثَانِيةً..

فَيَنْتَفِضُ الفُؤَادْ!!؟

هَذِي البلادُ بعيدةٌ... هَذِي البِلادْ!!

هَا نَحْنُ..!

وَالبَيْداءُ تُنكِرُنَا!!

وَلَيْسَ السيفُ والقرطاسُ يَعْرِفُنا..!!

وهَذَا الرُمْحُ لَمْ يَعْرِفْ سوىٰ قَلْبِي!!

وَحَتىٰ الليلُ؛ والخيلُ التي صَهَلَتْ بأعماقِي بَراهَا الرَّكْضُ؛

أَضْنَاهَا الطِرَادْ..!!

هَذي البلادُ بعيدةٌ... هَذِي البلادْ!!

تَمْتَدُّ في جَسَدِي؛ وتَخْتَلِجُ

يَصَّاعَدُ الرَّهَجُ

وَتَغِيبُ عَنْ عَيْنَيَّ

حَتىٰ تَكشِفَ النيرانُ والوهجُ

عَنْهَا..؛

فَتَأْخُذ شَكْلَهَا المُهَجُ..

وَيَسِيلُ صَوتٌ.. جَامِحٌ.. في كلِّ وَادْ

وأَنَا (عَلَىٰ قَلَقٍ؛ كَأَنَّ الريحَ تَحْتِيَ..) حَيثُ تَصْهَلُ في الجَوَادْ

يا هذه الطرقُ التي اشتبهتْ:

أَذَاةً؛

أَوْ هَلَاكاً..؛

ـ كَيْفَ أقحمتُ الـ (نَجَاةَ)..؟!ـ

أليسَ مَوْعِدُنا الرَّمادْ..!!

●●

...زَبَدٌ بِحَجْمِ الكَوْنِ يَعْتَرِضُ العُيُونَ..؛

تَعافُهُ..؛

فيَمُورُ... يَلْتَهِبُ

زَبَدٌ له شَكْلُ الرُؤوسِ؛

وَهَيْئَةُ الأَجْسَادِ... يَمْتَثِلُ

وَيَصِيحُ بي:

ـ ما أَنْتَ؟؟..؛

ـ ماذا تَبْتَغِي؟؟..؛

● مَا أَبْتَغِي قَدْ جَلَّ أَنْ يُسْمَىٰ..

وَمَاذا أَنتمُو؟؟

خَزَفٌ..؛ وَأَقْنِعَةٌ!!

«وَأَجسَامٌ يَجِرُّ القتلُ فيها»؟؟

كَيْفَ تَنْتَصِبُ..؟؟

[.. كَان السؤالُ يَطِنُّ؛

والريحُ التي حَمَلَتْ زَئِيرَ المَأْسَدَهْ

خَمَدَتْ ذَوَائِبُها بأَعْمَاقِي

ولَمْ تَزَل الوجوهُ المُرْبِدَه

تَجْتَرُّ ذُعْرَ خَوائِها . .
فَاخْتَرْتُ أيامي . . ؛
وأعدائي . .
ولَم تنمْ العيونُ المُرْصَدَهْ . . !!]
. . أَشْرَعتُ وجهيَ ؛ وارتحلتُ . . ؛
وقلتُ : هَمْ رَحلوا . .
أو كُلَّما سَاخَتْ بأحلامي الضلوعُ وضعتُ رَحْلِيَ ؛
حيثُ لا كاسٌ . . ؛
ولا آلٌ . . ؛
ولا أَمَلُ . . !!

●●●

. . لَيس التعللُ . .
بيدَ أنَّ الريحَ تصفرُ في دمي ؛
والذكرياتُ تَمُوءُ . . ؛
تَنْتَحِبُ
مَرَّتْ خيولٌ ها هنا . . ؛
أَعْرافُها التمعتْ . . ؛
تَسَاقَطَ جَمْرُها المائيُّ . . ؛
سابحةً . . ؛
حَوَافِرُها تُفَجِّرُ أَوْجُهَ الماضِي . . ؛
فَتطفرُ :
هَذِه (حَلَبُ)
تَنْأَى . . . وَتَقْتَرِبُ . . !!
وكأنَّ (خولةَ) نَخْلَةٌ سَمَقَتْ . .
تُرَى . .
يَتَأَلَّقُ الثمرُ الشهيُّ بِجِيدِها . .
أَمْ قُرْطُها الذَّهَبُ ؟؟!!
[. . تهتزُّ أسيافُ العشيرةِ دونَ عينيها ؛
(البحيراتِ التي يَتَقَطَّرُ الظمآنُ من وَلَهٍ بها . .) ؛
لَمْعُ الأسنَّةِ فوقَها ما زالَ . . !! ؛
لَو زُرْتَ التي تَهْوَى ستَمْرُقُ فوقَكَ الأسلُ !! . .]
هلْ كانَ مَا دَرَجَتْ عليه قلوبُنا وَهْماً ؟؟!! ؛
وهلْ نَبَتَتْ رؤوسُ الشوكِ تحتَ جُلودِنا عَبَثاً . . ؟؟!! ؛
وهلْ حُلُمُ الصِّبا أَنْ تُورِقَ الأشواقُ والقُبَلُ . . ؛
شَجَراً يُظَلِّلُ (قَاسيونَ) . . ؛
ويرتمِي الظلُّ المُجنَّحُ . . ؛
في رُبوعِ النيلِ يَمْرَحُ . . ؛
في الفُراتِ يَرِفُّ . . يَنْتَقِلُ . . ؛
وَيَدِفُّ في (وَهْرَانَ) . . ؛
هل عَبَثاً حَلُمْنَا ؟؟
أم تُرَى هلْ أفسدتْ أحلامَنَا الدُوَلُ . . !!؟؟

●●●●

. . . تَمتدُّ ما بيني وبَيْنَ الكَوْنِ أَسْبَابُ القَطيعةِ والعَدَاءِ . . ؛
فحيثُ كنتُ هَتَكْتُ أَقْنِعَةً . . ؛
وَغَنَّيْتُ الحقيقةَ بعضَ مَا تَأْسَى به رُوحي ؛
فَأَسْفَرَ وجْهُها الوضَّاحُ . . ؛
لكنَّ الأراذِل ساوَمُوا الزَمَنَ الرديءْ
وتجمَّعُوا في سَمْتِ (كافورَ) الذي آتيهِ مَشْرُوخَ الرُؤَى . . ؛
يَقِفُونَ . . !!
يَصْطفُّون في تلكَ النواجِذِ والقواطعِ ؛
عَبْرَ مَبْسَمِهِ الوَضِيءْ !!
لَوْ تغلطُ الأيامُ فيَّ بأَنْ أرى هذِي الأعاجمَ والجماجمَ ؛
والأسافلَ والأراذلَ ؛
كُلَّها رِمَماً تَكاثَرُ فوقها الرَّخَمُ !
لو تغلطُ الأيامُ فيَّ وآهِ . . تبتسمُ !!
لَوْ تَغلَطُ الأيامُ فيْ !!
لكنَّني إذْ أطلبُ السُقْيَا ستُمْطِرُ مِنْ مَصَائِبِها القَمِيءْ !!
لا السيفُ كانَ السيفَ حينَ قَصَدْتُ دولتَهُ ،
ولا كافورُ كَانَ المِسكَ . .
عَوْداً على بَدْءٍ ستَصْهَلُ كلُّ أَفْرَاسِي وراءَ الحُلْمِ ؛
ما امْتَدَّتْ لَهُ كَفِّي ،
أُسَوِّي شَعْرَهُ الذَّهَبِيَّ في كَهْفِ الرُؤَى . . ؛
إلاَّ وَمَدَّتْ رَأْسَهَا أَفْعَى تَصِيءْ
يا أنتَ . . يا هذَا المدَى
إني أُبَعْثِرُ فِيكَ أَشْلائي . . ؛
وأَنْثُرُ في خَلاياكَ الخبيئةِ ما تبقَّى مِنْ ذِماءِ الروحِ ؛
مِنْ ظَمَإِ الفُـؤادْ . .
هذِي البلادُ بعيدةٌ . . . هَذِي البلادْ !!
وأَنَا (على قَلَقٍ ؛ كَأَنَّ الريحَ تحتيَ) حَيْثُ تَصْهَلُ في الجَوَادْ
يا هَذِه الطرقُ التي اشْتَبَهَتْ :
أَذَاةً . . ؛
أَوْ هلاكاً . . ؛
إنَّ موعدَنا الرمادْ . .
إنَّ موعدَنا الرمادْ . .